

فتح بيت المقدس

سار عمرو إلى إيليا «بيت المقدس» يحفزه على فتحها أمران :

الأول: دينى ففيها البيت المقدس فلها مكانتها عند المسلمين والمسيحيين على السواء .

والثانى: سياسى وهو الرغبة فى القضاء على ما بقى للروم فى الشام وفلسطين .

حاصر عمرو بيت المقدس زهاء أربعة أشهر، تجلد فيها المسلمون لبرد الشتاء، ولما طال حصارها فر الأرطوبون إلى مصر، فتولى بطريقها الدفاع عنها فلما يئس جنح إلى السلم، على أن يكون المتولى لعقد الصلح هو عمر ابن الخطاب نفسه .

ولعل السر فى ذلك يرجع إلى الخسائر التى أنزلها الروم بالمسلمين، وقد دالت دولتهم، وزال سلطانهم عن البلاد التى فأشفقوا ألا يجيبهم المسلمون إلى ما أجابوا إليه أهل البلاد التى فتحوها من صلح شريف تصان به دماؤهم وكنيستهم العظمى وقبلتهم المقدسة ويحرموهم ذلك بحق الفتح، فرأوا توكيداً للأمان وزيادة فى توثيق عرى العهد، أن يتولى ذلك خليفة المسلمين نفسه .

كتب عمرو بذلك إلى عمر فسار إلى الشام -وهى أول خرجة خرجها- وأرسل إلى أمراء الشام أن يستخلفوا على ما بأيديهم ويوافوه بالجابية، فلقوه بها على الخيول، وعليهم الدياج والحرير فزل عن برذونه، وحصبهم بالحجارة وهو يقول لهم: سرع مالفتم عن رأيكم إياى تستقبلون فى هذا الزى وإنما شبعتم منذ سنتين! سرع ما ندت بكم البطنة وتالله لو فعلتموها على رأس المائتين لا استبدلت بكم غيركم» فقالوا: إنها يلاطقة (يعنى أردية

محشوة) وإن علينا السلاح، قال فنعم إذن، وركب حتى أتى الجابية وعمرو وشرحيل يضربان الحصار على أجنادين لم يبرحاها. وهناك جاءتته رسل أهل إيليا يطلبون السلام فسالهم، وكتب لهم عهد الذمة والأمان. أمنهم فيه على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم، وأظهر فيه كثيراً من التسامح معهم^(١) ثم وضع أساس مسجده ورجع إلى المدينة في أواخر سنة ١٥هـ أوائل سنة ١٠هـ وبذلك تم فتح الشام.

حوادث سنة ١٨هـ:

عام ١٨هـ هو عام الرمادة كما يسميه العرب وذلك للجذب الشديد الذى انتاب البلاد العربية حتى هلك الخف والحافر، ولولا الإمدادات التى جاءت من الشام إلى الحجاز لكانت المصيبة عظيمة.

ولم يكد ينتهى الجذب حتى دهم الشام وجنوبى العراق الطاعون المعروف بطاعون عمواس. وقد هلك به من العرب فقط نحو من عشرين ألفاً من بينهم أبو عبيدة وشرحيل ويزيد بن أبى سفيان!

كان عمر قد هم بالمسير إلى الشام وسار فعلا حتى بلغ تبوك، فبلغه نبأ الوباء فعاد إلى الحجاز، فلما انقطع الوباء سار إلى الشام ونظم أموره، وجمع الشام كله لمعاوية بن أبى سفيان.



(١) راجع نص هذا الكتاب فى كتب التاريخ الموسوعة.